بين أبي العلاء المعري

وداعي الدعاة الفاطمي

نص رسائل مفيدة

دارت بين حكيم الشعراء أبي العلاء المعري والمؤيد في الدين

أبي نصر بن أبي عمران داعي دعاة الفاطميين

حول فلسفة أبي العلاء واجتنابه أكل اللحوم

وما كتب أبو العلاء هنا هو آخر ما أملاه من آثاره الأدبية

القاهرة

١٣٤٩

مقدمة الناشر

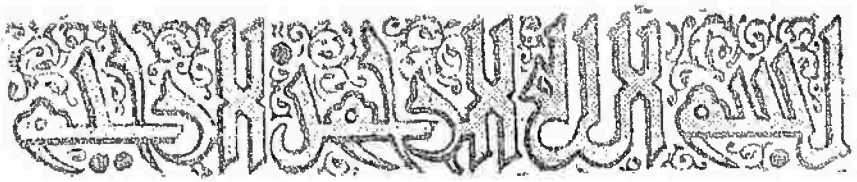

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد فان المعروف عن حكيم الشعراء وشاعر الحكماء أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي أنه كان يعيش عيشة الزهد ، وهو القائل :

فاتركْ لأهل الملك ملكهم فحسبُنا الكأةُ والاهيلُ
ونشربَ الماء براحاتنا ان لم يكن ما بيننا جُنبُل (١)

وكان في الشطر الثاني من حياته صائم الدهر ، مجتنباً أصناف اللحوم متعففاً عن صيد البر والبحر ، حتى لقد مرض مرة فوصف له الطبيبُ الفروجَ ، فلما جيء به لمسه بيده وقال :

استضعفوك فوصفوك ، هلاّ وصفوا شبل الاسد !

واستدل وطنيه ابن الوردي من قول تلميذه أبي الحسن علي بن الهمام في رثائه :

ان كنتَ لم تَرِقِ الدماء زهادة فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما

على أن اجتنابه أكل اللحم كان عن زهد مباح ، لا عن رأي في ذلك يخالف به الاديان . وذلك من قبيل ما روي عن رسول الله ﷺ أن أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشربة بعسل فوضع القدح من يده وقال « أما اني لست أحرّمه ، ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى »

---

(١) الجنبل : قدح من الخشب ، والاهيل للوبيل

وفي السنة التي انتقل فيها هذا النابغة الزاهد العظيم الى رحمة ربه زار مدينة حلب أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران أحد كبار علماء الامامية الشيعي، منصب داعي الدعاة الى مذهب الفاطميين، فأراد أن يداعب الشاعر الحكيم وهو في آخر شيخوخته، فكتب اليه يستنكر اجتنابه أكل اللحوم ويسأله بيان الحجة في استحسان هذا النوع من الزهد، ودارت بينهما على أثر ذلك هذه الرسائل الخمس التي كان آخرها بقلم داعي الدعاة الفاطمي، وكان وصول تلك الرسالة الى المعرة عند وفاة شيخها وحكيمها رحمه الله

وكان ياقوت الحموي قد اختصر هذه الرسائل وأوردها في معجم الادباء، وأشار صديقي العلامة الجليل الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي [1] الى وجودها كاملة في خزانة ليدن. وبينما كنا مع حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن قراعة (أيام ولايته الافتاء في الديار المصرية) في زيارة قنيد العربية والاسلام أحمد تيمور باشا رحمه الله جاء ذكر هذه الرسائل فأطلعنا الباشا على نسخة منها في خزانته (تحت رقم ٤٧٨ أدب) وهي بخط الشيخ الفحماوي المعروف بجودة خطه، نقلها عن نسخة كتبت سنة ٦٢٠ هـ، وقد استحسن كل من الاستاذ المفتي والاستاذ تيمور باشا احياءها بالطبع، لأن علماءنا الذين من طبقة أبي العلاء لايجوز أن يبقى شيء من آثارهم غير مطبوع، ولأن مابين أيدينا من آثار الفاطميين في منتهى القلة، فبادرت الى نشرها في الزهراء، وأفردتها في هذه الرسالة على حدة. والله ولي الاعانة

محمد السيد الميلي

(١) أبو العلاء وما اليه (ص ٢٤٥)

(٢) انظر فهرس خزانة ليدن ١ : ٢٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة المؤيد في الدين داعي الدعاة الفاطمي

الى أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّي

الشيخُ (أحسن الله توفيقه) الناطقُ بلسان الفضل والادب الذي ترك مَن عداه صامتاً، مشهودٌ له بهذه الفضيلة من كلّ مَن هو فوق البسيطة. غير أن الادب الذي هو جالينوسُ طبّه، وعنده مَفاتح غيبه، ليس مما يفيده كبيرَ فائدة في معاشه أو معاده، سوى الذكر السائر به الركبانُ مما هو اذا نشأ مع المذكور به [٢] علم أنه له [٣] بمكانة الجمال والزينة مادام حيّاً، فاذا رمت به يدُ المنون من ظهر الارض الى بطنها فلا بحسن ذكره ينتفع، ولا بقبحه يستضرّ. واذا كانت الصورة هذه كان مستحيلاً منه (أيده الله) مع وفور عقله أن جعل موادّه كلّها منصبّةً الى إحكام اللغة العربية والتقعّر فيها، واستيفاء أقسام ألفاظها ومعانيها، ووفّر عمرَه على ما لا نتيجة له منها: فترك نفسَه المتوقدةَ نارُ ذكائها خلواً من النظر في شأن مَعاده، وأن يمتار من علمه ماهو أنفع فيمكث إذا ذهب الزبد جُفاءً من غيره؛ فاذا هو (حرسَ الله عزّه) بمقتضى هذا الحكم مرْتوٍ من عَذْب مَشرب هذا العلم، وإنما ليس يبوح به لضرب من ضروب السياسة. والدليل على كونه ناظراً لمعاده بدقيق النظر الذي لايكاد يجري معه جارٍ في ميدانه سلوكُه المسلكَ الذي سلكه في الزهد، وقصدُه شَظَفَ العيش، وتعوّضه عن لذيذ الطعام بالسكريه، وعن ليّن اللباس بالخشن، وتعفّفُه عن أن يجعل جوفَه

(١) كانت في الاصل «اذا تسامع المذكور به»
(٢) في الاصل «أن له»

للحيوان مدفنا ، أو أن يذوق من كرّها لبنا[1] ، وأن يستطعم من طعام استكدت عليه في حرثه وإنشائه . وليست هذه الطريقةُ إلا طريقة من يعتقد أنه إذا آلمها ونال نيلاً منها استوفى جزاء فعله بها . ومَن كانت هذه نصيبته[2] في سلامة البهيمة العجماء منه فكيف في إيثار سلامة الانسان الناطق العاقل من يده ولسانه . ولعمرُ الله لقد امتدّ بهذا البالى[3] الى أقصى الشوط من ميدان الزهد ، وانتهى فيه الى أبعد المدى

ولما رأيته على ظهر الغيب قد تميّز بما ادّعى الناس له من الفضل ، وشغفه بالزهد المستدلى من مقر الفهم والبصيرة ، دون الجهل مما يقوله جهّال الزهّاد ، الذين يهيمون من الغباية فى كل واد . وسمعت داعية البيت الذي يُعزى اليه وهو قوله :

غدوت مريض الدين والعقل فالتقني لتعلم أنباء الأمور الصحائح

وهي تدعو إلى الاستنارة بأنواره ، والاهتداء بمناره ، شددتُ إليه راحلة الملبل فى دينه وعقله إلى الصحيح الذي ينبىء أنباء الأمور الصحائح ، كما أهدى إلى مايوقظ من سِنة الغفلة مقبول النصائح . وأنا أول مُلبّ لدعوته ، معترف بحيرته ، معترف من بحر ارشاده وهدايته . وهو حقيق بأن يكون عند آخر وعده بالتبيين والايضاح ، وأن يتوقّد — لكشف حنادس فكرتي — توقّدَ المصباح ، وأن لا يوطئ العشواء فيسلك بى فى المجاهل ، ولا يعتمد فى إيراد مايورده أن يلبس الحقّ بالباطل . وأوّل سؤالي (ادام الله سلامته) سؤالٌ خفيف فيما ليس يهم كثيرا ، أقصد فيه

(١) جرى داعى الدعاة على تأنيث الحيوان والنبات في رسالته هذه

(٢) كذا فى الاصل ولعلها « قضيته » أو لفظة أخرى بمعنى مذهبه أو طريقته

(٣) كانت في الاصل « البالي »

اعتبار فعله بي في الجواب ، فان استنشقت نسيم الشفاء سقت السؤال إلى المهم ، وإن تكن الأخرى وقفت بحيث انتهيت . وبالله التوفيق :

أسأله عن العلة في تحريمه على نفسه اللحوم والألبان وكلّ ما يصدر الى الوجود من منافع الحيوان ، سؤالَ من يعرف بكونها مخلوقة للاشخاص البشرية مما هو قولُ أهل الشرائع من القول ، ويتوكّأ على عصا العقل . وأقول :

أليس النباتُ موضوعا للحيوان التي تمتارُ منها ، وبوجودها وجودُها واستقامتها في حفظ أعوانها وولادة مواليدها ؟ وانما يستولي الحيوان عليها بالقوة الحسّاسة التي ترجح بها على النبات من حيث كونها نامية فقط وليست بحساسة ، فلو لم يكن للحيوان لكان موضوع النبات باطلا لامعنى له . وعلى هذه القضية ، فانّ القوة الانسانية مستولية على الحيوان استيلاء الحيوان على النبات لرجحانها عليها بالنطق والعقل ؛ فهي مسخرة بجميعها ، فمنها ماتأكل من لحومه وألبانه ، ومنها ماتستنفع بجلوده وأوباره ، ومنها ماتنتفع بمرائره ، ومنها ماتنتفع بأنيابه ومخالبه ، ولو لم يكن ذلك كذلك لكان موضوع الحيوان باطلا على حسب ماقدمناه من ذكر النبات ، وكون موضوعها لولا وجود الحيوان باطلا . واذا كان ترتيب موجودات العالم هذا الترتيب فتجافي الشيخ وفقه الله عن الانتفاع بما هو مخلوق له إبطالٌ لترتيب الخلقة ودفع في وجه المصلحة . ثم ان امتناعه من أكل الحيوان ليس يخلو القصد فيه من أحد أمرين : إما أن تأخذه رأفة بها ، فلا يرى تناولها بالمكروه ، وما ينبغي أن يكون أرأف بها من الله سبحانه الذي خلقها وهيأها لمصالح البشر . فان قال قائل : ان الذي أطلق القول بأن هذا حلال وهذا حرام هو بعض البشر ـ يعني أصحاب الشرائع ـ وأن الخالق ما أباح اراقة دم حيوان ولا أكل لحمه ؛ كان الدليل على

بطلان قوله وقوع المشاهدة بجنس السباع وجوارح الطير التي خلقها الله سبحانه على صفيحة لا تصلح الا لنتش اللحم وفسخها وتمزيق الحيوان وأكلها . واذا كان هذا الشكل قائم العين في الفطرة ، كان جنس البشر وسيع النذر في أكل اللحوم ، وكان من أجل ذلك لهم حقاً لا مبطلا وصادقا لا كاذباً . فهذا أحد البابين

واما أنه يجد سفك دماء الحيوان ونزعها من أرواحها خارجاً من أوضاع الحكمة ، وذلك اعتراضٌ منه على الخالق سبحانه الذي هو أعرف بوجوه الحكمة . وهذا الباب الآخر

واذا أنعم الشيخ (أدام الله توفيقه) وتفضل وساق الي حجة اعتمدها في هذا الباب رجوتُ كشف المرض الذي وقع اعترافي به في مستأنف السؤال بمطلع صبح بيانه ؛ فيكون قد غرس مني غرساً زكياً ، وهداني صراطا سوياً . ويزداد بمكانه ذلك في موالج الخير ولوجا ، وفي معارج اكتساب فضيلة الشكر والأجر عروجا . بمشيئة الله وعونه

الجواب من أبي العلاء المعري

قال العبد الضعيف العاجز احمد بن عبد الله بن سليمان :

أولُ ما أبدأ به أني أعُدُّ سيدنا الرئيسَ الأجلَّ المؤيدَ في الدين (أطال الله بقاءه ، وأدام علاءه) ممن ورث حكمة الأنبياء ، وأعدّ نفسي المخاطبة من الأغبياء . وهو يكتابه اليّ متراضع ، وغيرُ شرفه الطامح . بل هو مع النجوم جار ، لا يهتدي ليله الى الانجار . والالفاظ من كلامه ، تقضي على كل من خالف بلاءه ، وقد حضرني فيما نطق به دقائق ، هنّ لدى الكشف حقائق . ومَن أنا حتى يكتُبَ اليّ ؟ مثلُه في ذلك مثلُ الثريا المطالة كتبتْ الى الثرى ، وهو لا يسمع ولا يرى . وقد علم الله أن سَمعي قتيل ، وبصري عن الابصار كليل . تُضيءُ عليّ وأنا ابن أربع ، لا أفرق بين البازل وبين الرُبَع[1] . ثم توالت مخي ، حتى أشبه شخصي العودَ المنحني . وعُنيتُ في أخرى العمر بالانفراد ، وتخلّى عني النهمة عاد

وأمّا اشتهار اسمي فقد شهد الله جلّت عظمته أنّي لا أرغب فيه ، إذ نفسي لديّ حقّت بالتسفيه . واللّمّ في ذلك لغيري لأنه يظن ظنوناً كاذبة ، لا تزال من صدق طرّية . والكريمُ الصادق يقيسُ سجيات العالَم على سجاياه ، فيظن المبطلة من نجاياه

فأمّا ما ذكره سيدُنا الرئيس الأجلُّ المؤيد في الدين (لا زال مفحماً للمخالف ، وناصراً للموالي الزائف) فلسيد الضعيفُ العاجزُ يذكرُ له مما عاناه طرَفاً ، لعل عذره يمسي معترَفاً . فأقول : ان الله عزّت عظمته حكم عليّ بالازهاد فطفقتُ من العدم في جهاد . وتعرّضتُ للدنيا الخادعة تعرّضَ نذْلٍ عاجز ،

(١) الربع : الفصيل الذي ينتج في الربيع . والبازل : البعير اذا دخل في السنة الثامنة . وكانت في الاصل « بين البازل وبين الاربع » وصحح من معجم الادباء لياقوت ١ : ٢٩٨ .

ليس لخطوتها بالمناجز . فرمحني كرمح الشموس ، وقالت لي : عليك بالرموس . وناديتُ : صاحبي سواك ، ولن أبلغ هواك . وانصرفتُ كما قيل في المثل : مُكرَهٌ أخوك لا بطل ، وحملي من الملي المطل . فغفلتُ برهة ثم أبهتُ ، ونبهني الفكر فانتبهتُ . وهو يجلُّ أن أكون سائلاً له أو مسئولاً ، بل هو الأبيك أتبعُه مؤولاً . ولكني أحكي السنة من غيري ، وان كنت أبتغي بها ميزي . وأما قول العبد الضعيف :

غدوت مريض الذهن والعقل فالقني لتسمعَ أنباء الامور الصحائح

فانما خاطب به من غمره الجهل ، لا من هو للرياسة عَلَمٌ وأهل . وقد عَلِمَ (جلَّ الله الحكمة ببقائه) أنَّ الحيران كلَّه حسامٌ يقع به الألم ، وحالُه في ذلك يعلم . وقد سمع العبد الضعيف العاجزُ شيئاً من اختلاف القدماء يكون فيما سمعه سيدُنا الرئيس الأجل المؤيد في الدين (لا فُتِرَ الى النار حادياً ، وحلَّ من اهتداه المصلحة حادياً) جزءاً من أجزاء تجاوز في العدد ألوفاً ، ويوجد يقينُها مألوفاً

فأول ما يبدأ به أن قائلاً من البشر لو قال : اذا تبينّا القضية المركبة من المسند والمسند اليه وهما واسطتان إحداهما نافية والأخرى استثنائية فقلنا : « الله لا يفعل الا خيراً » أفنهذه القضية كاذبة أم صادقة ؟ فان قيل انها صادقة رأينا الشرور غير البتة والخيرات الملتمسة قوالب . فعلمنا أن ذلك سرٌّ خفيٌّ ، لا يشعر به الا الحفيّ . وفي الكتاب الكريم « وان تُصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك . قل كلٌّ من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » فان قال القائل قد روي أن النبي ﷺ كان اذا أراد السفر قال : « اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد » أفنهذه الأشياء التي تولّد منها خيرات أم شرور ، لا يكمل بها السرور ؟ فان قال قائل : هي مخزنة منكرة فقد أبطل القضية التي هي منقسمة ، لأنها

لما سلف طرد مقدمة . وان قال : القضية المذكورة لا تصح ، فالسائل يسيء الأدب يلح . فان قال : القضية منعكسة ، وهي بعد بحث منتكسة . فقد لزمه أن يقول : ان الله سبحانه يفعل الخير والشر . فان أبى ذلك رجع الى ما يقوله المجوس من أن للعالم خالقين : أحدهما يردان وهو فاعل الخير ، والآخر أهرمن وهو فاعل الشر . وملاذ الله أن نقول هذه المقالة ، بل نكرم شرعنا ، ونبسط في اتباعه ذرعنا . ولما توفي ابراهيم عليه السلام بكى عليه ، فقيل : يا رسول الله أنت نهانا عن البكاء . فقال : تدمع العين ، ويخشع القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون . أفوت ابراهيم ما كان النبي عليه السلام يراه خيراً أم شراً ؟ ويقول القائل المجتري : أفما كان من قتل الحسين وسم الحسن ، المشرد عن العين طيب الوسن ، أخيراً أم شراً ؟ فان قال انه خير ، فعلام لعن القاتل في صبيح مساء ، ونزعم أن سفنه في اللاطم ذوات ارساء ؟ وللباري عزت قدرته أسرار ، وقف دونها الابرار . ولعل هذه الأشياء مخفاة ، الى أن تقبض الحي وفاة . وكذلك الذين قتلوا يوم أحد شأنهم مشكل ، والنظر في حديثهم يشكل . أفتقل حمزة حسب مما يحمد ، أم هو عبرة للعين ودمد ، والحديث المشهور أن الغزاة لما رجعوا الى المدينة بكت النساء على قتلاها فقال ﷺ « لكن حمزة لا بواكي له » فصار النساء يبدأن ببكاء حمزة ثم يتقلن الى من فارقهن . وقال كعب بن مالك الأنصاري :

صفية قومي ولا تعجزي ... وبكي النساء على حمزة
ولا تتركي أن تطيلي البكا ... على أسد الله في الهزة

والبكاء انما يحدث من الحزن ، وان الايام لكثيرة المحن

ولم يزل من ينتسب الى الدين يرغب في هجران الهموم ، لأنها لا يوصل اليها الا بالايلام لليوان ، يفر منه في كل أوان . وان الفانية لتكون في محل القوم

وهي حامل[1] ، فاذا وضعت وبلغ ولدها شهراً أو نحوه اعتبط فأكل لحمه وشربوا في اللبن ، ولم يعتدوا ذلك من الغبن . وماتت أمه ناغية ، لو تقدر لسعت له باغية . وقد تردد في كلام العرب ذكر ما يلحق الوحشية من الوجد ، وتردها من الغلة بغور ونجد . وكذلك ولد الناقة اذا فقدت الفصيل ، ذكرته غباتها والأصيل . كما قال القائل :

فما وجدت كوجدي أم مقلب أضلته فرجعت الحنينا
ولا شطاه لم يترك شقاها لها من تسعة الا جنينا

وقال الآخر :

فما وجدُ أظآرٍ ثلاثٍ رَوائمٍ أصبن بجوراً من جوارٍ ومصرعا
يُذكّرن ذا الشجوِ الحزينَ بشجوهِ اذا نامت الأولى سجعن لها معا
بأوجدَ مني يوم فارقتُ مالكا فأصبحتُ محزوناً لذلك مفجعا

وقال الآخر :

كأن قتود[2] رحلي يوم ضمّت حوالب غُرّزاً ومعيّ جياعاً
على وحشية نامت خلوجاً وكان لها طلاً طفل فضاعا
فكرّت حنة فيقنها اليه فألفت حنة مربضه السباعا
لبثن به فلم يتركن الاّ إهاباً قد تمزق أو ذراعا

شبه ناقته في سرعتها وتردها بالوحشية المفجوعة بولدها ، لأنها نهاية في الاسف والقلق . وقال أبو ذؤيب الهذلي :

أودى بنيّ وأعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبرة ما تقلعُ
فالعين بعدهمُ كأن حداقها سُملت بشوك ، فهي عورٌ تدمع

أفهذا خير أم شر ؟ وقال أبو ذؤيب[3] أيضاً :

(١) كانت في الاصل « حائل » (٢) رواية اللسان بمادة « غرز » : لسوع
(٣) كانت في الاصل « أبو زيد »

فَدَعْ عنك هذا ولا تبتهج بخيرٍ ، ولا تبتئس عند ضُرّ
وخفِّضْ عليك من الحادثا تِ ولا تُلفِيَنّ كئيباً بشرّ
فان الرجال الى الحادثا ت فاستبقين أحبّ الجزرْ
أبعْدَ ابن حجْرَةَ ليث العري ن أمسى كأن لم يكن ذا نفرْ
وهم سبعةٌ كموالي الرّما ح حسان الوجوه لطاف الأزرْ

فيقال ان ابن حجرة قُتل له سبعة بنين في وقت واحد . وقد قيل ان أبا ذؤيب كان له سبعة بنين فشربوا من لبن قد شربت منه حية ثم قامت فيه فهلكوا في يوم واحد

وللسائل أن يقول : ان كان الخير لا يريده ربنا هزّت قدرته سواه فالشرُّ لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون قد علم به ، واما أن يكون غير عالم به (ونعوذ بالله من هذه المقالة) . فان كان عالما به فلا يخلو من أحد أمرين : اما أن يكون مريداً له ، أو غير مريد . فان كان مريداً فكأنه الفاعل كما أن القائل يقول : قطعَ الأمير يدَ السارق ، فالأميرُ قطعها الا أنه لم يل ذلك بنفسه . وان كان غير مريد له فقد جاز عليه ما لا يجوز مثله على أمير في الارض له نظراء كثير ، لانه اذا فُعل في ولايته شيء لا يرضاه نكره أشد النكير ، وأمر بزواله عن غير . هذه العُقد قد تجهد في حلها المتكلمون من أهل الشرائع فلم يجدوا لها انحلالا ، وأصبح مقالهم ضلالا

ويقول القائل : قد ذكرت الانبياء عليهم السلام أن الباري جلت قدرته رءوف رحيم ، ونشاهد ما هو على غير ذلك دليل ، لانه لو رأف ببني آدم لوجب أن يرأف بغيرهم من أصناف الحيوان الذي يجد الالم بأدنى شيء . ولمَ يخصُّ الانس بذلك وهم الذين يجنون الكبائر ويقدمون على إتيان الذنوب ؟ وقد علم أن الوحشَ الراتعةَ يدنو اليها الفارس فيطعنُ الميرَ والاتان ، وربما كانوا جماعة فصادوا الاتنَ والاعيار وهن ما أسدينَ اليهم أذاة ، ولا اشتكوا منهم شذاة .

ولم يقنعوا بالكافي العاجل ، دون ما قدر في الآجل . ولأي حال استوجب من يفعل بها هذا الرأفة ، وهي لم تشرب من المآثم بذنوب ، ولم تحسُ ما يكتب من الذنوب ؟ وقد رأينا البيئتين المتنسب كل واحد منهما الى الشرع المنفرد يلتقيان وكلاهما في مدد ، ويُقتل بينهما آلافُ عدد . أفبنا مضروبٌ من أيّ الوجهين ، فليس عند المنظرين

فلما رأى العبد الضعيف العاجز اختلاف الاقوال ، وأيقن بفناء وزوال . وبلغ ثلاثين عاماً ، سأل ربه انماما . فرزقه صوم الدهر ، فلم يُفطر في السنة ولا الشهر . الا في العيدين ، وصبر على توالي المجديدين . ولزم الامساك من المآكل الا أن يلحقه المرض ، فيخاف منه المرض . وظن اقتناعه بالنبات ، يثبت له في العاقبة جميلَ الاثبات . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير . وفي الكتاب العزيز « إن تحرِصْ على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين »

وقد علم سيدنا الرئيس الأجلّ المؤيد في الدين (لا برح كوكبا يفزع اليه الطائر ، ونوراً يهتدي به الساري والسائر[1]) أني الى ارشاده أفقرُ منه الى ارشادي ، وقد أسلف اليّ الايادي . والعبد الضعيف العاجز يسأل أن يشفع يداً بيد ، ليعم نفعها في الابد . ولا ريب أنه نظر في الكتب المتقدمة وما حكي عن جالينوس وغيره من اعتقاد ، يدل على خيرة الانتقاد . واذا قيل ان الباري، رءوف رحيم فلم يُسلّط الاسد على افتراس نسمة انسية ، ليست بالمفسدة ولا القسيّة . ولم مات بلدغ الحيّات جماعة مشهورة ، ما هي بالزّلل مهورة[2] ؟ وقد قال القائل — بعد أن وصف رجلا بشجاعة واقدام ، وأنه لم يكن من اللئام الافدام — :

فمضى وأدركه الحِمام بقفرة ... في رأس صِلّ كالهراوة أعصَلِ

وقال الهذلي :

كحية جُحرٍ في وجار مقيمة ... تسمّى لها سوق الثُنى والجوالب

(١) كانت في الاصل « السري والسائر »

(٢) من هاره يكذا أي ظنه به

وما الطير الراضية بلقط الحبة ، الراجعة بها الى الاحبة . فسلّط عليها بازيٌ أو صقر ، فنهبها من النقر . وان القطاة لتدعُ فراخها ظمأ ، وتبتكر لترد ماء . تحمل اليها في المِقرِبة ، وترجع به الى الدُّرْبة . فيصادفها دون المدمن أجدل ، ما هو بصيدها مُبْدل . فينال الظفرَ بقوت ، ما هو عليه بالمقوت . ويهلك أفراخها أواما ، أفراداً في النمص لا تؤاما . ألحقت الرأفة بازياً أو كدريّة ، فأغضت غصباً أو حدريّة . « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » . وقال بعض الملحِدة — وأعوذ بالله أنْ أكون أحد المتعرضين ، الذين هم للسخط مستعرضين [1] — في الكتاب العزيز « وأنه أهلك عاداً الاولى ، وثمود فما أبقى ، وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى ، والمؤتفكة أهوى ، فغشاها ما غشّى » : ان كان الباري جلت قدرته خلقهم وهو يعلم أنهم مجرمون ، يصرون التوبة ولا يرحمون . فكان ينبغي أن لا يخلقهم ؛ لان خلقهم أدّاهم الى العذاب ، والتجرّع من الصاب . وان كان لا يعلم بما يصيرون اليه فهو كغيره من الفاعلين . وقد يربّي الرجل ولداً فيكون عاقاً ، أو يملك عبداً فيخرج معانداً مشاقاً . ومعاذ الله أن نقول ذلك ، بل نسلم ونتلو الآية « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا » وقد أقيم الكفرة على أعظم خطب ، وحطبوا على ظهورهم أثقل حطب . وفي الكتاب الاشرف « أولَمْ يرَ الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أولَ مرة وهو بكل خلق عليم » وهذه حجة بالغة في أن خلقها مبتدعة ، أبعدُ من انشائها مرتجعة . ثم قال سبحانه « الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون » فتبارك الله العظيم القادر على أن يحرق بورقة خضراء ، من فوق الراكدة والغبراء « أوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم ، انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء

(١) كذا الاصل ولعلها مركبة من كلمتين وقع فيهما تحريف

واليه ترجمون » أشهدُ الله الذي بأذنه نشأت السماوات والارض ، انى مُقرٌّ بالنشرة على الرَّجْعة » والطرف من الآخرة . احافظ على صلاتى وأصوم ، واعتصمُ لملي معصوم . وأبرأ من قول الكافر[1] :

ألمّت بالتحيـة أمُّ بكر ... فحيّوا أمَّ بكر بالسـلام
وكائن بالطوي طوي بدر ... من الشيزى تكلّل بالسّنام[2]
ألا يا أم بكر لا تكرّي[3] ... على الكاس بعد أخي هشام
وبعـد أخي أبيه وكان قرماً ... من الاقوام شرّاب المدام
ألا من مبلغ الرحمن عني ... بأني مفطرٌ شهر الصيـام
اذا ما الرأس زايل منكبيه ... فقد شبم الانيسُ من الطعام
أيوعدُنا ابن كبشة أن سنحيى ... وكيف حياة أصداء وهام[4]
أيترك أن يرد الموت عني ... ويحيني اذا بليت عظامي

ولعن الله القائل ، ويقال انه الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك[5] :

أدْنِيَا مني خليلي ... عنه لادون الأزار
فلقد أيقنتُ أني ... غير مبْعُوثٍ لنـار
سأروض الناسَ حتى ... يركبوا دينَ الحمار
واتركنْ من يطلب الجنـ ... ـة يسعى في خسار

(١) هو ابن سوادة

(٢) الطوي البئر . والشيزى شجر الابنوس تتخذ منه الجفان . وقد ذكرها الشاعر واراد أصحابها فى معرض رثائهم أنهم كانوا كراما ثم دفنوا فى ظيب بدر

(٣) فى نسخة « لاتشمي »

(٤) من مشاهير العرب رجل من خزاعة خالف قريشاً فى عبادة الاوثان ، وعبد كوكب الشعرى العبور ، وكانت كنيته « أبا كبشه » فلما خالف نبينا صلى الله عليه وسلم قريشاً في عبادة الاوثان ودعا الى دين التوحيد تذكروا ذلك الخزاعي فقالوا « ابن أبي كبشه »

(٥) أولانا شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني بحث مهم في نقض هذه السخافات عن الوليد بن يزيد (انظر انتقاده تاريخ التمدن الاسلامي لزيدان ص ٣٠)

وهذان البيتان يؤوبان لرجل يقالُ له الوليد قيل [١] هو الوليدُ بن عبد الملك وقيل هو الوليد بنُ يزيد ، وأيهما كان فقد أقدم على الهاوية ، بنفس ليست لها حمدَ بالنّاوية ، ولا من لهيب جهنم بالناجية . وذلك أنه كُتبَ له مصحفٌ فلما كَمل نظرَ فيه فاتّفق أن خرجتْ له الآية وهي قوله سبحانه « واستفتحوا وخاب كل جبّار عنيد » فمزقه وقال [٢] :

أتوعد كلّ جبّارٍ عنيد فها أنا ذاك جبارٌ عنيد
اذا لاقيتَ ربك يوم حشر فقل يارب مزّقني الوليد

والوليد بن عبد الملك كان لحّاناً لحناً لا يقدر صاحبُه أن ينظمَ مثلَ هذين البيتين . وويل للحكيّ [٣] إن كان يعتقد ما يقال انه وجد في بيته بعد موته مكتوبا وذلك قوله :

باح لساني بمضمر السّر وذلك أني أقولُ بالدهر
وليس بعد الممات حادثة وانما الموت بيضة القُمر

وويح لعبد السلام بن رغبان الملقب بديك الجن ان كان مات وهو مصرّ على قوله :

هي الدنيا وقد وعدوا بأخرى وتسويف الظنون من السواف
فان يك بعض ماقالوه حقا فان المبتليك هو المعافي

فأما قول النبي ﷺ « لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر » فانما أراد أنّ الذي يقضي عليكم بذلك هو الحي القيوم الذي تسجد له الشمس والقمر وتشهد به كل المخلوقات . ولم تزل العرب تذم الدهر في قديم وحديث ، قال الشاعر :

الدهر أبلاني وما أبليتُه والدهر غيرني وما يتغيرُ

---

(١) في الاصل « بل »
(٢) وهذه الحادثة نفاها العلامة الشيخ شلي النعماني وأنكر صحتها (٣) هو أبو نواس

والدهر قيدني بقيد مبرم ومشيت فيه فكل يوم يقصرُ

فقال من يذهبُ الى أن الله تبارك أسماؤه يفعل الخير والشر، فطلقٌ أفضل أم مقيد، موسوم بالذنب مقيَّد؟ بعد ما كان يفري الفريَّ، ويحسب الشريّ. وقال نَفَر بنُ عبد القيس جدّ الطِّرِمّاح الطائي:

ألا قالت بهيثة ما لنفرٍ أراه غيّرت منه الدهورُ

فقلت وأنتِ قد غيّرتِ بعدي وكنتِ كأنك الشعرى العبورُ

أفخيرٌ للمرأة أن تكونَ كالواحدة من الشعريْن، أم كونها عجوزاً تعجز عن حمل المِدْرَيَن؟

ومما حثّني على ترك أكل الحيوان أن الذي لي في السنة نيف وعشرون دينارا فاذا أخذ خادمي بعض مايجب، بقيَ مالا يعجب. فاقتصرتُ على فولٍ وبُلْسُن، ومالا يعذب بالألسن. فأما الآن فاذا صار الى من يخدمني عندي وعنده هين، فما حظي الا اليسير المتمين. ولستُ أريد في رزقي زيادة، ولا أوثر لسقمي عيادة. وأضمر من عقبايَ الحذر، وذكرت ماذكرته لأعذر. والسلام

الجواب عنه المؤيد في الدين الى المصري

عن جوابه عن رسالته الأولى

حوشيَ الشيخُ (أدام الله سلامته) من أن يكون ممن فطن في عرض دينه وعقله لعلّته ، وأجاب دعوةَ الداعي منه بالبيت الشائع عنه لنيل شفاء علّته . يزيده الى علته علة وقد ضمن له الصحة ، وضيّقه الى ضيقته من حيث أمل الفسحة . إذن يكون كما قال المتنبيء :

أظمأتني الدنيا ، فلما جئتُها مستسقياً مطرت عليّ مصائبا

كان سؤالي له (حرسه الله) في شيء يختصّ بنفسه في هجره ما يشدّ الجسم من اللحم الذي ينبت اللحم ، وقلتُ : ان الموجود من ترتيب الخلقة أن النبات مخلوقة للحيوان ، والحيوان العجماء مخلوقة لمنافع الانسان . وأنه ان أنكر منكرٌ أن الله تعالى فسح في ذبحها ، والتناول من لحمها ؛ قلنا له : إن الدليل على بطلان قوله ما نراه من بعض أجناس الحيوان سباعاً وطيراً . وكونه مخلوقاً لفسخ اللحوم وأكلها والانتفاع بها ، فبالحريّ أن يكون لنا السبيل على ما نأكل من لحومه و ننتفع بأصوافه وأوباره . ونحن أفضل من السباع وجوارح الطير ، وانّ الذي يمتنع أن يمسه بسوء ما ينبغي أن يكون أرحم وأرأف به من الصانع سبحانه

فقال في الجواب : ان قائلا من البشر لو قال ـ اذا بيّنا القضيّة الثنوية فقلنا « الله لا يفعل إلا خيرا » ـ : فهذه القضية كاذبة أم صادقة ؟

فان قال قائل « انها صادقة » فقد رأينا الشرور غوالب ، والخيرات الملتمسة قوالب . الى قوله : رُوي عن النبي ﷺ أنه كان يقول ـ إذا أراد السفر ـ « اللهم

إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد » فهذه الأشياء التي تعوّذ منها خيرات أم شرور ؟

فان قال قائل « بل هي مخوفة منكرة » فقد أبطل القضية الاولى أنه لا يفعل الا خيراً . وان قال « ان قضية الخير وحسنه لا تصحّ » فالسائل إذا سأله يسيء الادب ويُلحّ . فان أبى أنه يفعل الشرّ جملة كان مرجعه الى قول المجوس في اثبات خالقين أحدهما يفعل الخير والآخر يفعل الشر . وقولُ الشيخ (أيده الله) بعد اقتصاص ذلك كله : ومعاذَ الله أن نقول هذه المقالة ، بل نلزَمُ شرعَنا ، ونبسط في اتباعه ذَرعَنا

فأقول مجيباً : أهذه « أنباء الأمور الصحائح » التي يهدي بها من استهدى ، ويُجدي بمثلها على من استجدى [1] ؟ وهل زاد السقيمَ بدوائه هذا إلا سِقَما ، والأعمى الأصمّ في دينه وعقله إلا عَمىً وصَمَما

وقوله بعد تقسيم هذه المقالات « ومعاذ الله أن نقول هذه المقالة ، بل نلزم شرعنا » أفشرعنا داخل في جملة هذه التقاسيم ، أم خارج عنها ؟ فان كان داخلاً فيها فأيُّ أقسامها أولى بالاتباع على رأيه (حرسه الله) فنتّبعه ؟ وان كان خارجاً عنها فما هو ، وأيّ هو ؟

على أن هذه الجملة من أولها الى آخرها بنجوة عن سؤالي الاوّل ومعزِلٍ عنه ، ولا مناسبة بينها وبينه

وأما ما تبع هذا الفصلَ من ذكر فجعة رسول الله ﷺ بابراهيم ولده عليه السلام ، وذكر سمّ الحسن وقتل الحسين وقتل حمزة عليهم السلام الجاري كله على سياقة واحدة ، والاستخبار عن كون جميع [ذلك] خيراً أو شرّا ، فهو داخل في مضمار التقاسيم المذكورة التي عددتها وتركها في غواشي ظلماتها ، فقد سبق القول

(١) يشير الى بيت المعري الذي بنيت عليه هذه الرسالة

أنه ما حلّ في السؤال الاوّل من الشبهة عقالا ، بل زاد بهذه الاسئلة تيها وضلالا

وأما القول في أن اللحوم لا يوصل اليها الا بايلام الحيوان ، وإتيانه بأشعار العرب في حرقة الناقة المفجعة بفصيلها ، فقد سبق القول [بأنه] لا يكون أرأف بها من خالقها ، فليس يخلو من كونه عادلا أو جائراً : فأن كان عادلا فانه سبحانه يقبض أرواح الآكل والمأكول جميعا وذلك مسلم له ، وان كان جائرا لم ينبغ أن نرجع (١) على خالقنا بعدلنا وجوره

وأما قوله وللسائل أن يقول ان كان المليم هو الذي لا يريد ربنا سبحانه سواه فالشر لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون قد علم به أولا ، فان كان علم به فلا يخلو من أحد أمرين: اما أن يكون مريدا له أو غير مريد،فان كان مريدا فكأنه الفاعل وان كان غير مريد ففعلُ ما لا يريده الامير في ولايته مذموم فكيف في ولاية رب العالمين سبحانه

فأقول في الجواب : قيل(٢) ان انسانا ضاع له مصحف فقيل[له] (٣) : اقرأ « والشمس وضحاها » فانك تجده فقال وهذه السورة أيضا فيه. فكذلك أقول ان هذا أيضا من ذاك ، وجميعه ظلمات ، فأين النور؟ وانما قصدناه للنور لنعرف أنباء الامور الصحائح ، كما قاله

وأما قوله (حرسه الله) لما رأى اختلاف الأقوال ، وأيقن بنفاد وزوال ، ولزم الامساك عن المأكل ، وظن اقتناعه بالنبات يثبت له في الآخرة جميل الاثبات ، فما صح لى أن الرب الذي سأله أن يرزقه صوم الدهر هو الذي يريد الخير وحده ولا يريد الشر [أو الذي يريد الشر وحده (٣)] أو الذي يريدهما جميعا ، والصوم

(١) وفي الاصل « يتبع أن يرجع »
(٢) كانت في الاصل « فأقول في الجواب ما قيل » وعند ياقوت « فأقول قيل »
(٣) الزيادة من معجم الادباء

فرع على أصل من شرع يأتي به رسول الرسول يتعلق برسل وقضيتنا في المرسل مشتبهة : يبعث رسولا فيريد أن يطاع أم لا يطاع ؟ فأن كان يريد أن يطاع فهو مغلوب على ارادته لان من لا يطيعه أكثر [١] وان كان يريد أن لا يطاع فارساله اياه محال وطلبه حجة على الضعفاء ليعذبهم . فان كان موضوع صومه على هذا فلم يفعل شيئا وان كان على غيره مما هو جلي واضح فهو الذي اطلبه ومن أجله شددت راحلتي اليه

وأما اقتناعه بالنبات لثبات في الآخرة [٢] ، فالنبات المختص للحيوان للعجاة التي من أجلها خلق النبات ، وليس لها في الآخرة قدم ولا ثبات

وأما ما اقتصه من أمر جالينوس في اعتقاد حيرة الامم وقول من قال ان الباري رءوف رحيم فلمَ سلط الأسد على ما يفترس ، فهذا كله داخل في ضمن ما أوردناه وغير محتاج عن حكمه [٣] ، وانما الهرب اليه لهذه الجهة لو لمحت سنا برق ارشاده ، وفاء للبيت من الشعر الذي بمعاده

واما حكايته قول بعض الملحدين ، واستعاذته بالله تعالى أن يكون من المعترضين في قول الله تعالى « وأنه أهلك عاداً الاولى ، وثمودَ فما أبقى » الآيات ، ان كان الباري سبحانه خلقهم وهو يعلم أنهم مجرمون ، وللتوبة والانابة يحرّمون ، فكان الأولى به وهو الرءوف الرحيم أن لا يخلقهم لئلا يعذبهم . وان كان لا يعلم فهو كأمثالنا ممن يفعل الشيء ولا يدري ما يكون منه . وقول الشيخ بعده : معاذ الله أن نقول ذلك بل نسلم ونتلو الآية « من يَهدِ اللهُ فهو المهتد ومن يُضلل فلن تجدَ له وليا مرشدا » فليس الملحد اذا قال ان السكّر حلو والخل حامض لا يقبل

(١) كذا عند ياقوت . وفي الاصل « فمن لايطيعه اكبر »

(٣) عبارة المعري في الرسالة السابقة « وظن اقتناعه بالنبات ، يثبت له في العاقبة جميل الاثبات . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير »

(٣) كذا الاصل

منه لكونه ملحدا ، وقوله يقتضي جوابا فان كان منه الشيخ أيده الله جواب فهو الذي نبغي أولا فقوله « معاذ الله أن نقول ذلك بل نسلم » فما التسليم في هذا الموضع الا التسليم للملحد لا شيء غيره

وأما تفنيده لرأي من لا يرى رأي الرجعة ولا يؤمن بقوله سبحانه « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » وقوله ان هذه حجة قاطعة لأن خلقها مبتدعة ابعدُ من انشائها مرتجعة ، واشهاده الله تعالى على نفسه بكونه مقرا بالرجعة وللخوف من الآخرة محافظ على صلاته وصومه ، ويبرأ من قول الكافر ولومه :

ألمت بالتحية أمُّ بكر فحيوا امَّ بكر بالسلام
ألا من مبلغ الرحمن عني بأني مفطر شهر الصيام
أيوعدنا ابنُ كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام

ويلعن من قال في آخر ابياته :

سأروض للناس حتى يركبوا دين الحمار

والذي قال أيضا يسبُّ المصحف ويخاطبه :

اذا لاقيتَ ربك يوم حشر فقل يارب مزَّقني الوليد[1]

وما يجري هذا المجرى . فمن الذي اتهمه بشيء من ذلك حاشاه ، وما الذي أوجب الاذكار بكفريات شعرهم واقتضاه ؟ وما كانت به حاجة الى استطراد ذكرهم ، وانشاد شعرهم

وأما روايته عن النبي ﷺ « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » وتفسيره للخبر بكون الذي يقضي عليكم هو الحي القيوم الذي تسجد له الشمس والقمر ، وتشهد به كل المخلوقات ، فهو جالينوس طب اللغة ويعلم علم اليقين أن هذا

(١) تقدمت الاشارة الى أن هذا من الابيات المكذوبة ، وهي مما صنعه الفرس في دولة بني العباس تقرباً اليهم وتنزيلا من قدر الدولة الاموية

تفسير لا يدل عليه لفظ الخبر ، فمن أين والى اين ؟ وانما هو المقصود ليخرج من التيه ، لا لان يمرح فيه

وأما ختمه الرسالة بقوله ان الذي حمله على ترك أكل الحيوان أن الذي له في السنة فيف وعشرون ديناراً يصير الى خادمه معظمها ويبقى له ايسرها ، فالضرورة تدعو الى مدافعة نفسه بالطعام عن الميت الطعام ، والاقتصار بها على جريشه ، فجسمه من الفضل والادب الفرائد ينبوع ، وحماهما ما دام باقيا ثابتا ممنوع ، وحمل مؤنة القدر الذي يطعمه لو كان ثقيلا لوجب تحمله ، فكيف وهو الخفيف حمله ، وقد كاتبت مولاي تاج الامراء حرس الله عزه أن يتقسم بازاحة العلة فيما هو بُلغة مثله من الطعام ، ومراعاته به على الادرار والدوام . لتنكشف عنه غاشية هذه الضرورة ، ويجري أمره في معيشته على أحسن ما يكون من الصورة . وهذا باب يتعجز بمشيئة الله وعونه

ثم ان قلم من الشيخ حفظه الله نشطة لجواب يكتبه عن هذا التعليق اعفاني فيه عن قصد الاسجاع ولزوم مالا يلزم ، فان ملتمسي فيه المعاني لا الالفاظ

الجواب من أبي العلاء المعري

سيدنا الرئيس الأجل ، المؤيد في الدين ، عصمة المؤمنين ، هدى الله الأمم بهدايته ، وسلك بهم طرق الخير على يده

فقد بدأ المعترف بجهله ، المقر بحيرته ، والداعي الى الله سبحانه أن يرزقه ما قلّ من رحمته ، في أوّل ما خاطبه به أن ذكر اعتقاده في سيدنا الرئيس الأجلّ المؤيد في الدين ضوّأ الله الظلم ببصيرته ، وأذهب شكوك الافئدة برأيه ، وما نفسه عليه من الذلة والحقرية عنده ، وأنه يحسبها ساكنة في بعض السوام . وعجيب أن مثله يطلب الرشد ممن لا رشد عنده ، فيكون كالقمر الذي هو دائب في خدمة ربه ليلا ونهارا يطلب الحقيقة من أقمر بفلاة يرد الماء على الصائد ويصيب قلبه بسهم

وقد ذكر — أيد الله الحقّ بحياته — بيتاً من أبيات على الحاء ذكرها وليه ليعلم غيره ما هو عليه من الاجتهاد في التدين ، وما حيلته في الآية « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا » . والابيات أولها :

غدوت مريض الدين والعقل فالقني لتسمع أنباء الأمور الصحائح

وهو — أدام الله قدرته — يعلم أن الله سبحانه له أسرار لا يقف عليها الا الأولياء ، وان المعقول له في العالم عمل عظيم لا يصلون الى المنفعة الا به ، وهو يدلهم على عبادة الله عز سلطانه وعلى جميع ما ينتفعون به من مأكول ومشروب وملبوس ، ويدلهم على طلب المعايش والسعة في الارزاق . وبعد هذا البيت :

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح

واذا سلّم المسلّم أن الباري تقدّست أسماؤه له سرٌّ خفيٌّ لا يعلمه الاّ الانبياء ومن أخذ عنهم من الأئمة ، ولا يقدر أحدٌ أن الحيوان البحري لا يخرج من الماء الاّ وهو كاره للخروج ، واذا سُئل المعقول من ذلك لم يقبّح تركَ أكله وان كان حلا ، لأن المتديّنين لم يزالوا يتركون ما هو لهم مطلق. وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يقوم الليل حتى تقرّحت قدماه ، فقيل له : يارسول الله لمَ تفعل ذلك وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟

وأبيض أمّاتٍ أرادت صريحَه لأطفالها دونَ الغواني الصرائح

والمراد بالابيض اللبن ، ومشهور في الأمم أن الامّ اذا ذُبح ولدها وَجدتْ عليه وجداً عظيما وسهرت تلك الليالي ، وقد أُخذ لحمه وتوفّر على أصحاب أمه ما كان يرضع من لبنها ، فأيُّ ذنب لمن تحرّج عن ذبح السليل ولم يرغب في استعمال اللبن ، وليس يعتقد فيه ذلك ولا يزعم أنه محرّم ، وإنما تركهُ اجتهاداً في التعبّد ورحمة للمذبوح ، رغبة أن يجازى عن ذلك بغفران خالق السماوات والارض . واذا قيل ان الله سبحانه ساوى بين عباده في الاقسام ، فأي شيء أسلفته الذبائح من الخطأ حتى تُمنَع حظّها من الرأفة والرفق ؟

ولا تفجعنّ الطير وهي غوافلٌ بما وضعتْ فالظلم شرُّ القبائح

وقد نهى النبي ﷺ عن صيد الليل ، وذلك أحد القولين في قوله ﷺ : « أقِرّوا الطيرَ في وكناتها » والاسلام ورد بأن لايضارّ طائر ولا سواه . وفي الكتاب العزيز — يا سيدنا الرئيس المؤيد في الدين عصمة المؤمنين لازالت القلوب معمورة بعظاته — ما هو أعلم به من سواه ، وذلك قوله « يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حُرُم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثلُ ما قتل من النعم » وقال في آخر الآية « ومن عاد فينتقمُ اللهُ منه والله عزيز ذو انتقام » .

وقال في موضع آخر « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أُحِلَّتْ لكم بهيمة الانعام إلاّ ما يُتلى عليكم غيرَ مُحِلّي الصيد وأنتم حُرُمٌ إنّ الله يَحْكُمُ ما يُريد »

فاذا سمع من له أدنى حسّ بهذا القول فلا لوم عليه اذا طلب التقرّبَ الى رب السماوات والأرض بأن يجعل صيدَ الحِلّ كصيدِ الحرَم ، وان كان ذلك ليس بمحظور

وَدَعْ ضَرَبَ النحلِ الذي بكرَتْ له كواسب من أزهار نيتر فوائح

لما كانت النحل تحاربُ الشائرَ عن العسل بما تقدر عليه وتجتهد في أن تردّه من الجانبين ، فلا غَرْوَ إن أعرضَ عن استعماله رغبةً في أن يجعل النحل كغيرها ما تكره من ذبح الأكيل وأخذ ما كان يعيش به ليسرَّ به النساء كي يبدُنّ وغيرها من بني آدم

وقد وَصَفَتْ الشعراء ذلك فقال أبو ذؤيب الهذلي يصف مشتار العسل :

إذا لسعته النحلُ لم يرجُ لسعها وخالفها في بيت نور عوامل

وقال أيضاً :

فلما جلاها بالأيام تفرّقت[1] ثبات عليها ذلّها واكتئابها

والأيام الدُخان ، وقيل عود فيه نارٌ يدخل في موضع النحل ليهرب . وقال مساعدة بن جؤية :

قليل متاع المال الا مسابيا واخراجها تعنى بها وتقيمها

فما برح الانسان حتى وضَعْنَهُ الى الثول يبقى حبّها ويئومها

يئومها أي يدخل الأيام في بيتها

وروي عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه حكاية معناها أنه كان له دقيق شعير في وعاء يختم عليه ، فاذا كان صائماً أفطر على شيء من ذلك الدقيق ، وكان أول ما يطعم . فاطّلع على ذلك بعض أصحابه فقال لجارية له : أما تتّقون الله

(١) في لسان العرب (تحيزت)

في هذا الشيخ ؟ فقالت : وما نصنع به ، هو الذي يختار ذلك !

وقد كان عليه السلام يصل الى غلة كثيرة ولكنه يتصدق بها ويقتنع أشد اقتناع

وروي بعض أهل العلم أنه قال في بعض خطبه : ان غلته تبلغ في السنة خمسين ألف دينار . ورُوي أنه قُدم اليه خبيص في الكوفة ، فقال : هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أكله ؟ فقالوا : لا . فأمر برفعه

وهذا يدلُّ على أن المجتهدين من الأنبياء والأئمة يقصرون نفوسهم ويؤثرون ما يفضل منهم لأهل الحاجة . وفي الكتاب العزيز « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » فحسبهم من الشرف ما ذكر في هذه الآية من حميد الانتفاع والايثار بالقليل

وقد قلت في مخاطبة سيدنا الرئيس الأجلّ المؤيد في الدين عصمة المؤمنين — لازال ضياء قلبه يُضوّي قلوب المؤمنين — : اني هبتُ حضرته الجليلة ونسبت الاسترشاد الى من هو أفضل مني رتبة لأدخل في المنفعة بجوابه

وقد سألتُ من يسترشد أن يسأل عن قضايا خمس لم يجب منها عن واحدة وعدلَ سيدُنا الرئيس الأجلّ المؤيد في الدين الى الايماء بأن من ترك أكل اللحم فميم ، ولو أخذ بهذا المذهب لوجب على الانسان أن لا يصلي صلاة الا ما افترض عليه ، لأنه اذا زاد على ذلك أدّاه الى كلفة ، والله تبارك اسمه لا يريد ذلك . ولوجبَ أن الذي يكون له مال كثير اذا أخرج عن الذهب رُبعَ العشر لا يحسن به أن يزيد على ذلك . وقد بعثُ الناس على النفقات في غير موضع من الكتاب العزيز كقوله تعالى جدُّه « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتيَ أحدَكم الموتُ فيقول ربِّ لو لا أخرتني الى أجل قريب فأصَّدَّقَ وأكنْ من الصالحين » . وفي الكتاب العزيز « مَن ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له » . والمراد بالقرض ما لا يجب على الرجل من

إخراج الزكاة لان زكاته دَين للساكين عليه ، ولو أن رجلا له عبيد أطعم اثنين منهم وترك بقية العبيد فاقتنع أحد العبيد ببعض مارزق وأطعم باقيه العبيد الذين لم يطعموا شيئاً واستعان بعضهم على مآرب تؤديه الى عبادة الله كاتيانه بالماء الطهور وتعمدهم مادنس من لباسه بالغسل لم يكن ذميماً في ذلك ولم يستحقّ من مولاه العقوبة

والعبدُ الضعيف العاجز قد افتقر الى مثل ذلك ، ولو مثلَ في حضرته السامية لعلم أنه لم يبق فيه بقية لأن يُسأل ولا أن يجيب لأن أعضاءه متخاذلة وقد عجز عن الصلاة قائماً وانما يصلّي قاعداً . والله المستعان

وكيف له أن يكون يصل الى أن يدبّ على عكاز أو يقبع من اتفق له من قائد كما قال أعشى بكر :

اذا كان هادي الفتى في البلا دصدر القناة أطاع الاميرا
وهاب العثار اذا ماشى وخال السهولة وعثا وعورا

وكيف للعبد الضعيف العاجز أن يكون اذا مشى يعثر لأنه لايعثر الاّ وهو على المشى قادر ، وكيف له أن تكون حاله كحال لبيد لما قال :

أليس ورائي إن تراخت منيتي ركوب العصا تُحنى عليها الاصابع
أخبّر أخبار القرون التي مضت أدبُّ كأني كلما قمت راكع

كيف لى بهذه الرتبة ، ولكن حِيلَ بين العير والنزوان كما قال صخر بن عمرو بن الشريد :

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان
وللموتُ خيرٌ من حياة كأنها مُمرَّس يعسوب برأس سنان

واني لأعجز اذا اضطجعت عن القعود فربما استعنت بانسان فاذا همّ باعانتي وبسط يديه لينهضني اضطربتْ عظامي لأنهن عاريات من كسوة كانت عليهن

فمرّتين منها الاوقات المعادية ، وانما عنيت ما كان عليهن من اللحم

وأما تمثّله ببيت أبي الطيب فلو بلغه ذلك لابتهج اذ كان مثله يتمثل بشيء مما نظمه ، وقد قال لعليّ بن عبد الله بن حمدان لما سمعه ينشد بيتين من شعر النابغة أغلب الظن أن الاول منهما :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفَهم بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائب

*

سمعتك منشداً بيتي زياد نشيداً مثل قائله كريما
فما أنكرتُ موضعه ولكن غبطتُ بذاك أعظمَه الرميما

ولو بلغه هذا الخبر لكان سروره به أعظم من سروره بتمثّل ابن حمدان ، لأن ذلك الرجل كان صاحب سيف وسيدُنا الرئيس الاجلّ صاحبُ ورع ودين وهداية ينتفع بها المهتدون

ومن استرشد بمثل العبد الضعيف العاجز فانما مثَله مثَل من طلب في القتادة ثمر النخلة ، وانما حملَ سائلَه على ذلك حسن الظن الذي هو دليل على كرم الطبع وشرف النفس وطهارة المولد وخالص المَحْتِد . ومن استرشد بسيدنا الرئيس الاجلّ المؤيد في الدين ـ أجزل الله حظّ الاسلام بدوام أيامه ـ كان كطالب الذهب من معدنه في النيل ومشبهه

فأما ماذكره من المكاتبة في توسيع الرزق عليّ فبذل افضال ورثه عن أب فأب وجد في أثر جدّ حتى يصل النسب الى التراب الذي خلق الله منه آدم عليه السلام ، كما قال الأسدي :

فَضَلْنا الناسَ أنّا أوّلوهم وأن مكارم الاخلاق فينا
أباً فأباً اذا نحن انتسبنا الى أن يبلغ الانسان طينا

وأما العبد الضعيف العاجز فما له رغبة في التوسع ومعاودة الاطعمة ، وتركها

صار له طبعاً ثانياً ، وله ما أكل شيئاً من حيوان خمس وأربعون سنة . وقال الشاعر :

والشيخ لا يترك عاداته حتى يُوارَى في ثرى رمسه

وأرجو أن لا يكون العبدُ الضعيف العاجز أحد الجاهلين الذين قال فيهم الشاعر :

ما يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهلُ من نفسه

وقد علم أن السيد الاجلّ تاج الامراء فخر الملك عمدة الامامة وعدّة الدولة ومجدها وعزّها ذا الفخرين أعزّ الله نصره يضيف أولاد سام ومن وَلَدَهُ أخوه حام وكذلك نسل يافث ، ولو فُتحت يأجوج ومأجوج لجاز أن يضمن لهم قِرَى الاضياف . وودّ العبد لو أن قلعة حلب ـ حماها الله ـ وجميع جبال الشام جعلها الله القادر ذهباً لنفقة السيد الاجل تاج الامراء خلّد الله امارته في نصر الدولة النبوية على إمامها السلام ، وكذلك على الائمة الطاهرين آبائه ، من غير أن يصير الى العبد الضعيف العاجز من ذلك قيراط وهو يستحي من حضرة تاج الامراء أدام الله جلالته أن ينظر اليه بعين من رغب في العاجلة من بعد مازهد وقد رضي أن يلقى الله جلّت قدرته وهو لا يُطالَب الا بما فعل من اجتناب اللحوم فان وصل الى هذه الرتبة فقد سعد . وفهمت ما نهى عنه من اجتناب السجع ، وقد أدّبني بما قال أدبَ النبي ﷺ حين قال له القائل لما ذكر الجنين : « أرأيت من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ولا استهلّ ، أليس مثل ذلك بطل ـ وروى يُطل ـ » فقال ﷺ « أسجعاً كالجاهلية ؟ » على أن الناس في الاسلام قد استحسنوا السجعات وكثرت في خطبهم ومراسلاتهم فقلّ ما يخطب بخطبة على منبر الا وفيها سجعٌ . وأما خطباء العراق فمعهم خطب تكون من أولها الى آخرها مسجوعة على الباء أو التاء أو غيرها من الحروف . وروي أن بعض الملوك قال لبعض الفقهاء : بلغني أنك تحبُّ السجع . فقال : نعم . وقرأ عليه آيات من قوله تعالى « والشمس وضحاها »

والفواصل التي جاءت في الكتاب الاشرف على ضروب : منها ماهو متباعد

لايجري مجرى السجع ، وفيه مايجري مجرى المسجوعات . كقوله تعالى « والفجر وليال عشر والشفع والوتر » وكذلك قوله « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » واذا جاءت الكلمات مختلفات الاعراب ـ بعضها مرفوع وبعضها منصوب وبعضها مخفوض ـ فمن الناس من يرى ذلك سجعاً ، ومنهم من لايدخله في باب المسجوع فاذا اختلفت أوائل الكلمات في الضم والفتح والكسر ففيه اختلاف كاختلافهم في الاعراب

ولو علمت الحمائم الساجعة أن الله سبحانه ، أو نبيه ﷺ ، يكره سجيعها على الغصون لخرست عنه وتبرأت منه . وكذلك النوق الموصوفة بأنها ساجعات كما قال تميم بن نويرة :

إذا حنّت الاولى سجعن لها معا

وإنما كرهه عليه السلام لأنه قد كثر في كلام الكهان فنهى عنه غير محرّم له ، وقد روي عنه كلام مسجوع في حديث جرير بن عبد الله البجلي ، منه قوله لما سأله عن المرعى والماء « خيرُ الماء الشبم ، وخير المرعى السَّلَم . اذا سقط صار دريناً ، وإذا خبط جعل لجينا » وسيّدنا الرئيس الاجلّ المؤيد في الدين لا زالت حجته باهرة ، ودولته غالبة ، كما قال زهير :

لعمرُ أبيك ما هرم بن سلمى بملحيّ إذا اللأماء لِيموا
ولا ساهي الفؤاد ولاعييّ الـ سان اذا تشاجرت الخصوم

وكما قال ثعلبة بن صعير المازني :

ولربَّ قوم ظالمين ذوي شذى تغلي صدورهم بهتر هاتر
لُدّ ظأرتهمُ على ما ساءهم وخسأت باطلهم بحق ظاهر

ولو ناظر ارسطاطاليسَ لجاز أن يفحمه ، وأفلاطون لنبذ حجته خلفه . والله يجمّل بحياته الشريعة ، وينصر بحجته الملة . والسلام

الجواب عن سيدنا المؤيد في الدين

وسبق بوفوده موت أبي العلاء المعري

ما فاتحتُ الشيخَ ـ أحسنَ الله توفيقه ـ بالقول إلا مفاتحةَ متناكر مُؤثر لأنَّ لا يخفى من أين جاءه السؤال ، فيكون الجواب باسترسال ورفض حشمة(١) وصنف تكلف الخطاب بسيدنا والرئيس وما يجري هذا المجرى ، اذ كان حكم ما تتجاري فيه موجباً أن لا يتخلله شيء من زخارف الدنيا ، ولانني أعتقد أن « سيدي » بالحقيقة من تستقلُّ دون يده يدي أخذاً منه للدنيا ، أو تمتار نفسي من نفسه استفادة من معالم الاخرى ، فلا أدري كيف انعكست الحال حتى صار الشيخ ـ أدام الله تأييده ـ يخاطبني بسيدنا والرئيس ولست مفضّلاً عنه في دنيا ولا دين ، بل شاذٌّ راحلتي اليه لاستفادةٍ إن وردتُ مَوْردها أو صادفتُ منهلا أو علاً منها قابلتها بالشكر لنعمته والاسجال على نفسي بسيادته

وبعدُ فاني أعلمه ـ أدام الله سلامته ـ أنني شققتُ بطنَ الارض من أقصى ديارِي الى مصر ، وشاهدتُ الناس بين رجلين : اما منتحلا لشريعةٍ صبأ اليها ولهجَ بها الى الحدّ الذي ان قيل له من أخبار شرعه : ان فيلا طار ، أو جملا باض لما قابله الا بالقبول والتصديق ، ولكان يكفّر من يرى غيرَ رأيه فيه ويسفهه ويلعنه . فالعقلُ عنده مَن هذه سبيله في مَهواة ومضيعة ، فليس يكاد ينبعث لأن يعلم أن هذه الشريعة التي يفتحلها لم يطوّق طوقها ولم يُسوَّر سوارها إلا بعد

(١) في الاصل (ورحص)

لموج نور العقل منه ، فكيف يصح تولية أولا وعزله آخراً ، ولم لا يتساوى طرفاه ولاية أو يتساوى طرفاه عزلا ، ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . أو منتحلا للعقل يقول انه حجة الله تعالى على عباده ، مبطلا لجميع ما الناس فيه ، مستخفاً بأوضاع الشرائع ، معترفاً مع ذلك بوجوب المساعدة عليها وعظم المنفعة بمكانها لكونها مقمعة للجاهلين ، ولجاماً على رءوس المجرمين المجزفين ، لا على أنها ذخيرة للعقبى أو منجاة في الدار الاخرى

فلما رمت بي المراسي الى ديار الشام ومصر سمعت من الشيخ — وفقه الله — بفضل في الأدب والعلم قد اتفقت عليه الاقاويل ، ووضح به البرهان والدليل . ورأيت الناس فيما يتعلق بدينه مختلفين ، وفي أمره متبلبلين : فكل يذهب فيه مذهباً ، ويتبع من تقاسيم الظنون سبباً . وحضرت مجلساً جليلا أجري فيه ذكره فقال الحاضرون فيه غثا وسمينا . فحفظته بالغيب ، وقلت ان المعلوم من صلابته في زهده يحميه من الظنة والريب . وقام في نفسي أن عنده من حقائق دين الله سراً ، قد أسبل عليه من التقية ستراً ، وأمرا تميز به عن قوم يكفر بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضا . ولما سمعت البيت :

غدوت مريض الدين والعقل فالقني لتسمع أنباء الامور الصحائح

فوثقتُ من خلدي فيما حدست عقوده ، وتأكدت عهوده . وقلت : ان لساناً يستطيع بمثل هذه الدعوى نطقا ، ويفتق من هذا العظيم رتقا ، لسانٌ صامتٌ عنده كلُّ ناطق ، وناطق من ذروة جبل من العلم شاهق . فقصدته قصد موسى عليه السلام للطور أقتبس منه ناراً ، وأحاول أن أرفع بالفخر منارا ؛ بمعرفة ما تخلّف عن معرفته المتصافون ، واختلف في حقيقته المختلفون . فأدليتُ دلوي بالمسألة الخفيفة التي سألتُ : ترقياً من دون الى فوق ، وتدرّجاً من صغير الى كبير ؛ فكان جوابه أنه يصغر عن أن يكون للاسترشاد محلا ، وأن يشدّ اليه شادّ فيه رحلا ،

فقلت : هذا زيادة في فضله ، وما يجوز صدور مثله عن مثله . ثم انتهى الى الاحالة على كون الناس ـ مَن تقدّم منهم وتأخر ـ في وادي الحيرة تائهين ، وبأذيالها متعثرين ، فمن قائل يقول : ان الخير والشر من عند الله سبحانه . ومجيب يجيبه : هل كان [ما] يستعيذ منه رسول الله ﷺ من وعثاء السفر وكلّ مُستعاذٍ منه خيراً أو شرا ؟ فان كان خيراً فالاستعاذة منه باطلة ، وان كان شراً والله مريده فالاستعاذةُ منه فضول وزيادة في المعنى . وسؤال من يسأل : هل كان سمُّ الحسن وقتل الحسين عليهما السلام خيراً أو شرا ؟ فان كان خيراً فاللعنة على القاتل من أيّ جهة ؟ وان كان شرّاً والله مريدُه زال اللوم عن القاتل . وقائل يقول : إن الخير من الله والشرُّ من غيره . ومجيب يجيبه بالجواب الذي يقطع به الاسباب . وغير ذلك مما أطال الخطاب به من أشعار الملحدة وأقوالهم . فكان جوابي له ـ أدام الله سلامته ـ انني من هؤلاء الذين ذكرتهم هربتُ اليك ، وتطارحتُ عليك . وان كلامهم قبل أن علّلته عليل ، وهو على مسامع القبول مني ثقيل . فافتح لي إلى ما عندك بابا ، وأفسح لي من لدُنْكَ جنابا . فلم يفعل . ثم خاطبتُه على امتناعه من أكل اللحوم فاحتجّ بكونه متحرّجا من قصدها ـ أعني البهائم ـ بالمضرّة والايلام ، متعفّفاً عنها لهذه الجهة . فقطعت لسان حجته بعد تباهيها ، وقلت : اذا كان الله سلط بعضها على بعض يأكله وهو أعرف بوجوه الحكمة وأرأف بالخليقة فلا يكن أرأفَ بها من ربها ولا أعدل فيها من خالقها . ثم عدل الى ذكر قصور يد الاستطاعة دون ذلك اذ كان القَدْر الذي هوله في السَّنَة مصروفا الى من تولّى خدمتَه أكثرُه وخالصاً له أقلُّه . فقطعت الحجة في هذا الباب أيضا وعيّنتُ له على جهة كريمة من الذين لا يُتْبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى ، يقوم بقدر كفايته من أطيب ما يأكلون ، وأزكى ما في البيوت يدّخرون . فتجافتْ نفسه ـ وقاها الله السوء ـ عن هذا الباب أيضا ، وكتب في الجواب الثاني بأنه لا يؤثره ولا يرغب فيه ، ولا يخرق عادته المستمرة في التّرك ، وابتدأ يقول :

أني أطلب الرشد ممن لا رشد عنده ، وان البيت الذي قاله مما جعلته حجة الى استقراء طريقته ومذهبه انما أراد الاعلام باجتهاده في الدين ، وما حيلته في الآية المنزلة : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً » فجمع بين المتضادّين في كلمة واحدة : ان كانت الآية حقاً كان الاجتهاد باطلا ، وقال: ان لله سبحانه أسراراً لا يقف عليها الا الاولياء ، فنحن على ذلك ندور وعلى باب من هو عنده نطوف . فان قلنا انه ـ حرسه الله من أصحابه ـ بدعوى صحته في دينه وعقله ومرض الناس على موجب قوله في نيته قال لارشد عندي ، فنظمه في هذا المعنى يخالف نثره ونثره يخالف نظمه فكيف الحيلة . ثم قال ان البيت المقول :

غدوت مريض الدين والعقل فالقني

يؤدي معناه الى البيت الثاني :

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالما

فكان مرض العقل والدين من جهة أكل اللحوم وشرب الألبان وتناول العسل ، فمن ترك هذه المطاعم كان صحيحاً في دينه وعقله ، وهو يعلم أن مصلحة الاديان والعقول لا تقوم بذلك ، ولا يجوز أن يكون هذا البيت الثاني ناسخاً لحكم الاول فيكون محصول دعواه في فقر الناس الى أن يصحح عقلهم ودينهم هو أن نقول لهم : لا تأكلوا اللحم ولا تشربوا اللبن

وأما قوله ان الحيوان البحري كاره لأن يخرج الى البرّ وأنه ليس يقبح في العقول ترك أكله وان كان حلالا ، لأن المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم طلق مباح . فما من حيوان بريّ ولا بحريّ هو أجلُّ من هذا الانسان الحي العاقل الناطق ، وهو كاره لان يأكله شيء والدودُ يأكله في قبره . فان كان ذلك صادراً عن موضع حكمة كان ما ذكره من الحيوان البري والبحري جارياً في مضمار هذا مثلا بمثل ، وان كان معدولا به عن وجه الحكمة كان محالا أن يكون صانعي سفيها يأكون أنا مصنوعه حكيما

وأما قوله ان النبي ﷺ صلى الى أن تورمت قدماه فقيل له فيه فقال : «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً» فما هذا مما نحن عليه في شيء ، والانسان له أن يصلي ما شاء من الصلوات في الاوقات التي تجوز فيها الصلاة ، على أنه لا يزيد في الفرائض ولا ينقص منها . وهذا الكلام شرعي وكانت القضية في الكلام على العقليات

وأما قوله انه عليه السلام حرّم صيد الحرم وان لغيره أن يحرّم صيد الحل تقرباً الى الله سبحانه فليس لاحد أن يحلل أو يحرم غيره

وأما قوله ان علياً عليه السلام لما قدّم له الخبيص سأل : هل أكل النبي عليه السلام منه ؟ فقالوا : لا . فرفعه ولم يأكله . فهذه الحجة عليه لا له ، فان الناس مجمعون على أن النبي ﷺ لم يفارق أكل اللحم ولم يهجره دهره ، وذلك بالضد سواء ولا لا انه — حرسه الله — لم يستظهر عليّ بالشريعة ولم يجاوز نصبة العقل لصنعته عن هذا الجواب الذي عسى أن يشغل سره ويمز عليّ ذلك

وأما ما شكاه من ضعف وقصور حركته وقوله انه لم يبق فيه بقية لأن يُسأل ولا أن يُجيب ، فما هو — حرسه الله — على علاته من الضعف والقوة الا من محاسن الزمان ، وممن سارت بذكر فضائل الركبان ، الا أنه — على عدوان الدهر عليه — عصا على نفسه يحرمانها ملاذ دنياها ، فان وثقت نفسه بملاذّ يعتاض عنها مما هو خير وأبقى منها فما خسرت صفقته ، وتم مصداق قوله بالبيت المقدّم ذكره . وان كان توسم بتيسم الشيخ بهدم المنتجبين ، ورد السائلين . وان كان شق على نفسه من غير بصيرة كما يدعيه الآن خوضاً مع الخائضين وتحيراً مع المتحيرين ؛ فقد أضاعها وجنى عليها وادّعى في البيت المقدم ذكره ما لا برهان له به . والفرض في السؤال والجواب الفائدة ، فاذا عُدمت فقد خفف الله عنه أن يتكلف جوابا

وأما الاسجاع ومسألتي التخلي عنها ، فما كانت الاشحاً بالمعاني أن يصل تتبعها

ولكني اذا تقيدت فضله بمصنفاته في الادب والشعر وجدت في أرضه مراعا كثيرا ومن أين لي أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه كظهوري على مصنفات أدبه وشعره . وقبلُ وبعدُ فانا أعتذر عن سره — أدام الله سلامته — أدبته ، وزمان منه بالقراءة والاجابة شغلته . لانني من حيث ما نفته ضرورته . والله تعالى يعلم أني ماقصدت به غير الاستفادة من علمه والاغتراف من بحره . والسلام

فهرس

الصفحة

٣ مقدمة الناشر

﴿ الرسالة الاولى — من داعي الدعاة الفاطمي الى المعري ﴾

٥ هل للمعري نظر في أمر الآخرة يكتمه ويظهر للناس بالأدب واللغة ؟

٦ الاستدلال بزهد المعري على أن له نظراً في أمر الآخرة

٦ سؤال المعري بيان الهدى والحق بزّ آيما وعد به في قوله :

غدوتَ مريض الدين والعقل فالقنى لتعلم أنباء الامور المصائح

٧ سؤال المعري عن العلة في تحريمه على نفسه اللحوم والالبان

٧ تسخير المخلوقات بعضها لبعض سنة طبيعية

٧ لا ينبغي أن يكون البشر أرأف بالحيوان من خالقه

٨ من الاعتراض على الخلاق القول بأن سفك دم الحيوان ليس من الحكمة

﴿ الرسالة الثانية — جواب أبي العلاء ﴾

٩ اعتذار المعري بشيخوخته وعجزه

٩ اعتذاره بأن مقام داعي الدعاة أسمى من أن يطلب سر العلم من عند المعري

٩ـ١٠ اعتذاره بأن الدنيا كانت حرباً عليه منذ نشأته
١٠ لله في أمر الخير والشر سرٌّ خفي لا يشعر به الا المخفّ
١١ انكار المعري قول المجوس ان للخير خالقاً وللشر خالقاً ، وايماؤه الى أن الشرور موجودة وواقعة وان القدر خيره وشره من الله وللباري سبحانه أسرار في خلقه . فاجتناب المكروه أمر طبيعي لا يعد اعتراضاً على الخالق
١٢ ما ورد في شعر العرب في معنى ألم الحيوان
١٣ مشكلة الخير والشر
١٤ في أن المعري رزق صوم الدهر ، واقتنع بالنبات منذ بلغ ثلاثين عاماً
١٤ـ١٥ أمثلة من هدوان المخلوقات بعضها على بعض
١٦ المعري يشهد الله على اقراره بالآخرة وانه يحافظ على صلاته وصومه
١٦ـ١٧ براءته من الالحاد الذي ينسب الى ابن سوادة والوليد بن يزيد وديك الجن
١٧ تفسير المعري حديث « لا تسبوا الدهر »
١٨ في أن الحاجة كانت مما حمل المعري على الزهد

﴿الرسالة الثالثة ـ من داعي الدعاة الى المعري﴾

١٩ في أن ترتيب الخلقة أن النباتات مخلوقة للحيوان ، والحيوان مخلوقة لمنافع الانسان
٢٠ الرد على مقالة المعري في الخير والشر وعقيد المجوس
٢١ القول فيما أورده المعري من أشعار العرب في ألم الحيوان
٢١ـ٢٢ اعتراض داعي الدعاة بأن ما أورده المعري يزيد الاشكال ولا يزيله
٢٢ لا تكفي البراءة من أقوال الملحدين ، بل لابدّ من دحضها

٢٣ الاعتراض على تفسير المعري لحديث « لا تسبوا الدهر . . . »

٢٤ إقامة الحجة على المعري بإجراء ما يضمن له المعيشة الهنيئة حتى لا تكون الحاجة سبب اجتنابه الهموم

﴿ الرسالة الرابعة ـ جواب أبي العلاء ﴾

٢٥ عود الى بيت المعرّي « غدوتَ مريض الدين »

٢٦ـ٢٧ شرح المعرّي هذه الابيات الحائية

٢٧ بعض ما قاله الشعراء في وصف مشتار العسل

٢٧ـ٢٨ زهد علي عليه السلام في كثير من المباحات

٢٨ من الخير الزيادة في الخير

٢٩ اشارة المعري الى شيخوخته وهرمه

٣٠ إباء المعرّي قبول ما أُجري عليه لترسيم معيشته

٣١ جواب المعري عن ما اعترض عليه به من استعماله السجع

﴿ الرسالة الخامسة ـ من داعي الدعاة الى المعري ﴾

٣٣ـ٣٤ الناس بين جامد متعصب لمذهبه ، وجاحد منتحل العقل مستخف بالشرائع

٣٤ توقع داعي الدعاة أن يكون المعري غير هذين الرجلين

٣٥ـ٣٨ اعتراض أجوبة المعري السابقة ، والاعتراض بأنها لا تصلح جواباً على السؤال الاول